

النصية ومعاييرها

تمهيد:

تولّت لسانيات النص دراسة مجموع المباحث التي لها علاقة وثيقة بالبنية النصية سواء ما تعلق منها بالوقائع اللغوية أو بالوقائع غير اللغوية، من مثل الانساق والانسجام، والسياق النصي ووصف بنيات النص وتفسيرها وتلك الإضافات لاحظها "دي بوجراند" (R.A.DeBeaugrand) حين أكد "أن تحولاً أساسياً حدث في الدراسات اللسانية المعاصرة بالانتقال من دراسة الجملة المنعزلة إلى دراسة النصوص التي تعبر عن اللغة في حالة الاستخدام الفعلي التي هي مواقف الاتصال، ولا يعد هذا التحول مجرد التحول للتعامل مع وحدات كبرى، بل هو تحول يستهدف في أساسه دراسة العمليات التي يتم بواسطتها توظيف اللغة كأداة من أدوات الاتصال⁽¹⁾.

معايير النصية:

يمكن إجمال المفاهيم الأساسية في لسانيات النص في ما اقترحه "روبرت آلان دي بوجراند" (R.A.DeBeaugrand) و"ولفجانج ألرخ درسلر" (W.U. Dresslar) من معايير لجعل النصية أساساً مشروعاً لإيجاد النصوص واستعمالها⁽²⁾، فقد جعلاً الربط النحوي المعيار الأول، ويعني بربط مكونات النص السطحية، الكلمات، والتماسك الدلالي المعيار الثاني؛ ويعنيان به الوظائف التي تتشكل من خلالها مكونات عالم النص. وهكذا فالأول ربط بين علامات لغوية، والثاني ربط بين تصورات وعالم النص⁽³⁾. واشترطاً في ثانياً تعريفهما للنص توفر سبعة معايير للنصية يوجزها قولها: النص بأنه "حدث تواصلية Occurrence communicative يلزم لكونه نصاً أن تتوفر له سبعة معايير⁽⁴⁾ للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلّف واحد من هذه المعايير"⁽⁵⁾، وهذه المعايير هي:

1. الربط النحوي / الانساق / السبك (Cohesion)

لسانيات النص شقان؛ شق لغوي يرسم الأبعاد اللغوية للنص، وتتشكل معه معرفة النص بكل جوانبها التركيبية والدلالية، والشق الثاني براغماتي يَشَوِّفُ الآفاق الاجتماعية والتاريخية والنفسية للنص والتي تسهم في تشكيله اللغوي وتتحدد من خلال مصطلح معرفة العالم⁽⁶⁾. وهو ما يتحقق عبر أدوات الانساق وآليات الانسجام.

¹ - يوسف نور عوض، نظرية النقد الأدبي الحديث، ص: 93.

² - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، مرجع سابق، ص: 103.

³ - سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ص: 145.

⁴ - هذه المعايير السبعة هي نفسها ما يطلق عليه مصطلح النصانية Textualité وهي كما يبدو تمثل قواعد صياغة أي نص.

⁵ - سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري "دراسة في قصيدة جاهلية" مجلة فصول، مج 10، 1991، ع: 1 و 2، ص: 154.

⁶ - حسام أحمد فرح، نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2009، ط 2، ص: 16.

يترتب الانساق على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صور وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق، بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي، وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط. ووسائل التضام تشتمل على هيئة نحوية للمركبات (*phrases*) والتركيب (*clauses*) وعلى أمور مثل التكرار والألفاظ الكنائية والأدوات والإحالة والحذف والروابط⁽⁷⁾.

2. **الانسجام / الالتحام** (*Coherence*): وهو يتطلب من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لايجاد الترابط المفهومي واسترجاعه، وتشتمل وسائل الالتحام/الانسجام على:

1. العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص.
 2. معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف.
 3. السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الانسانية.
- ويتدعم الالتحام/الانسجام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم⁽⁸⁾.

3. **القصد** (*Intentionnalité*): وهي تعبير عن هدف النص⁽⁹⁾ ويتضمن موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصا يتمتع بالسبك والالتحام، وأن مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها⁽¹⁰⁾.

4. **المقبولية** (*Acceptabilité*): وتتعلق بموقف المتلقي الذي يقر بأن المنطوقات اللغوية تكوّن نصا متماسكا مقبولا لديه⁽¹¹⁾. هو يتضمن موقف مستقبل النصاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام.

5. **المقامية / رعاية الموقف** (*Situationalité*): وهي تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطا بموقف سائد يمكن استرجاعه... وقد لا يوجد إلا القليل من الوساطة في عناصر الموقف كما في حالة الاتصال بالمواجهة في شأن أمور تخضع للإدراك المباشر، وربما توجد وساطة جوهريّة كما في قراءة نص قديم ذي طبيعة أدبية يدور حول أمور تنتمي إلى عالم آخر (مثل الأوديسا). إن مدى مراعاة الموقف يشير دأمل إلى دور طرفي الاتصال ولكن قد لا يدخل هذان الطرفان إلى بؤرة الانتباه بوصفهما شخصين⁽¹²⁾.

التنصص (*Intertextualité*): ويختص بالتعبير عن تبعية النص لنصوص أخرى، أو تداخله معها⁽¹³⁾، يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة بوساطة أم بغير وساطة، فالجواب في المحادثة، أو أي ملخص يذكر بنص ما بعد قراءته مباشرة يمثلان تكامل

7- دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 103.

8- المرجع نفسه، ص: 103.

9 - سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ص: 146

10- دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 103.

11 - سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ص: 146.

12- دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 104.

13- سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ص: 146.

النصوص بلا وساطة، وتقوم الوساطة بصورة أوسع عندما تتجه الأجوبة أو النقد إلى نصوص كتبت في أزمنة قديمة (14).

فالتناص إذًا، تفاعل بين نصين، ينتج معنى النص الحاضر بالتفاعل الدينامي مع النص الغائب فيكتسب بعض ملامحه الفنية العامة ليعيد تشكيلها وفق رؤى جديدة، تنزه النص الجديد عن أن يكون صورة مطابقة للنص القديم، كما تبرئ صاحبه من أن يكون مقتنيا خطي السابق أثر النعل بالنعل، بل يحاول النص اللاحق أن يقيم حوارًا مع النص السابق مبنيا على أساس التمثيل فالمجازة التي يستدعيها انسجام النص مع عالمه.

6. **الإعلامية (Informativité):** وتتعلق بتحديد جدة النص، أي توقع المعلومات الواردة فيه أو عدم توقعها (15)، وهي العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصية أو الوقائع في عالم نصي في مقابل البدائل الممكنة، فالإعلامية تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل وعند الاختيار الفعلي لبديل من خارج الاحتمال، ومع ذلك نجد لكل نص إعلامية صغرى على الأقل (16). يمكن إدراج هذه المعايير السبعة في ثلاثة جوانب هي:

الجانب الأول: وتتم فيه دراسة أدوات الاتساق أي الأدوات النحوية التي تضمن للنص التحامه وترابطه ومنها: عناصر السبك النحوي وعناصر السبك المعجمي وعناصر السبك الصوتي.

الجانب الثاني: ويهتم فيه بالدلالة من خلال دراسة مبادئ الانسجام.

الجانب الثالث: وهو الجانب التدوالي، حيث دور المتلقي والموقف التداولي وقصدية المؤلف والمقام.

14- دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 104.

15- سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ص: 146..

16- دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 105.